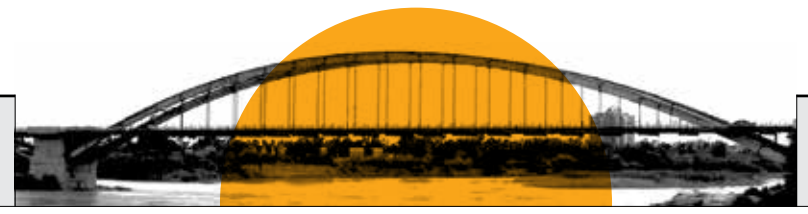

آية الله بهبهاني رائد الحركة الدستورية وشهيد التحرر من الاستبداد

يُعد السيد عبد الله بهبهاني من الشخصيات المهمة في «الثورة الدستورية» التي يعتبره البعض قائد هذه الثورة والبعض الآخر يعتبره أحد قادتها

كان آية الله بهبهاني رجلاً شجاعًا و قويًا وذا إرادة راسخة، يمضى قدماً دون تردد أو ضعف، وبشجاعة من أجل الوصول إلى الهدف

الوفاق/خاص

السيد عبدالله بهبهاني؛ من الوجوه الشهيرة لعائلة بهبهاني العريقة

عائلة بهبهاني هي إحدى العائلات العريقة في مجال العلوم الدينية والفقه في البلاد، إذ انتشر ثمار هذه الشجرة الطيبة والمجاهدة و ذات الأخلاق النيرة والطيبة في مدن النجف الأشرف والبصرة وخرمشهر وبوشهر وشيراز وطهران والعديد من المدن الإيرانية الأخرى.

ومن الوجوه الشهيرة والمميزة لعائلة بهبهاني العريقة، هو السيد عبدالله بهبهاني، نجل السيد إسماعيل بن السيد نصرالله ، بن محمّد شفيع الموسوي الغريفي البهبهاني، من ذرية السيد عبدالله بلدي. أصل عائلة بهبهاني من البحرين، وينحدر كثير من العلماء من هذه الأسرة. بعد سيطرة الخوارج على البحرين، واضطهادهم للشيعة، وخاصةً علمائهم، هاجر أجداد السيد عبدالله وغيره من كبار علماء الشيعة من البحرين إلى إيران والعراق، كما هاجر جد بهبهاني السيد عبدالله بلدي، إلى إيران ومدينة بهبهان. ولد العالم والفقيه السيد عبد الله بهبهاني، المجتهد وأحد القادة الروحيين للحركة الدستورية الإيرانية، في النجف الأشرف عام ١٢٥٦ م، وذكر البعض أن تاريخ ميلاده في ١٢٥٧م، ١٢٦٠ و ١٢٦٢ م.

والده سيد إسماعيل، ولد في بهبهان عام ١٢٢٩ هـ ، وبعد أن تلقى دروسه الأولية في مسقط رأسه ذهب إلى النجف الأشرف واستفاد من وجود معلمين مثل الشيخ مرتضى أنصاري صاحب "الجواهر" والشيخ حسن آل كاشف الغطاء. وفي عام ١٢٨٧ هـ ، بناءً على طلب ناصر الدين شاه، جاء إلى طهران ودرّس العلوم الدينية. وتوفي في طهران عام ١٢٩٥ م ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف.

السيد عبدالله بهبهاني بعد أن تعلم القراءة والكتابة، بدأ دراسة العلوم الإسلامية، وبعد أن أنهى العلوم والمقدمات الابتدائية، درس السطوح والأبحاث العالية على يد كبار العلماء والفقهاء مثل الشيخ مرتضى أنصاري والحاج ميرزا حسن شيرازي وآية الله السيد حسين كوه كمري والشيخ راضي النجفي والسيّد حسين الترك والشيخ حبيب الله الرشتي، وبعد حصوله على إذن الاجتهاد في العلم. انتقل عام١٢٩٥ هـ إلى إيران واستقر في طهران، وحل محل والده من جهة المكانة الدينية والاجتماعية والزعامة الدينية، وأصبح له شأن واعتبار بين الأوساط الروحية والحكومية والشعبية، وشارك في الحياة السياسية بالمطالبة بالدستور، فضيّق عليه وهجّر وجرت له أُمور ووقعت وقائع يطول شرحها حتى استشهد في منزله. كتب آية الله السيد عبدالله بهبهاني مجموعة رسائل فقهية، وهي ٢٠ رسالة (و ذكر البعض أنها ٢٥ رسالة)، كل منها يتعلق بموضوع فقهي واحد.

الخصائص الأخلاقية لآية الله بهبهاني

كان آية الله بهبهاني منخرطاً في أداء الواجبات الدينية والمذهبية في طهران وحل المشكلات الاجتماعية للمجتمع. وكان شخصية اجتماعية، وكلما تواصل معه شخص محتاج، حاول حل مشكلته بأفضل ما لديه. وكان مهتماً بمساعدة الناس في المشاكل وعند الحاجة، وكان ملتزماً أشد الالتزام بالقوانين والمقررات. كما كان آية الله بهبهاني رجلاً شجاعًا و قويًا وذا إرادة راسخة، وعندما ينطلق في طريقٍ ما، يمضى قدماً دون تردد أو ضعف، وبشجاعة من أجل الوصول إلى الهدف. لم تكن كلمة الخضوع في قاموس حياته ولم يُظهر الضعف أبداً.

السيد عبدالله بهبهاني؛ من قادة الثورة الدستورية

يُعد السيد عبد الله بهبهاني من الشخصيات المهمة في "الثورة الدستورية" التي يعتبره البعض قائد هذه الثورة والبعض الآخر يعتبره أحد قادتها. وحول دور وأداء آية الله السيد عبد الله بهبهاني في الحركة الدستورية، يتفق جميع المؤرخين تقريباً على موقع آية الله بهبهاني المتفوق والريادي في انتصار الحركة الدستورية. ومن الأحداث التي تسببت في تسريع الحركة الدستورية آنذاك، هي قضية " مُسيو نوز" المسؤول البلجيكي في الحكم. فلقد وجّه الاتفاق الجمركي مع روسيا وتعيين البلجيكي "مسيونوز" رئيساً للجمارك الإيرانية ضربةً قوية لاستقلال إيران السياسي والاقتصادي. تسبب هذا الاتفاق في استياء شديد للشعب والقادة الدينيون، وأجبر معارضي الحكومة الاستبدادية على التفكير في طريق للحل.

في الوقت نفسه، تم تداول صورة ل "مسيونوز" بملابسٍ دينية. بعد نشر هذه الصورة ظهرت وبشكلٍ واضح معارضة للحكومة الاستبدادية. آية الله بهبهاني، وفي خطابٍ ألقاه من منزله، أدان هذا الفعل الذي قام به "مسيونوز" ، وطلب من مظفر الدين شاه إقالته. على الرغم من معارضة آية الله بهبهاني وغيره من العلماء والقادة الدينيين والمثقفين لأفعال وأعمال "عين الدولة" القاسية، لم يحدث أي تغيير في إدارة البلاد، وحتى تم تعيين "مسيونوز" البلجيكي كرئيس لوزارة البريد والبرق، بالإضافة إلى رئيس الجمارك. ومنذ ذلك الوقت، بدأ آية الله بهبهاني صراعه الشامل مع الحكومة الاستبدادية. لذلك بعث برسالة إلى علماء ورجال الدين في طهران دعاهم فيها إلى التعاون ضد هذه الحكومة المستبدة.

دور آية الله بهبهاني في النضال ضد الاستبداد

أدى قمع الحكام والولاة المحليين في مختلف المدن إلى زيادة حماس الناس للقتال ضد هذه الحكومة الاستبدادية ؛ ومع ذلك، أدت أحداث مثل بناء بنك القرض الروسي في مقبرة قديمة وإغلاق البازار إلى تأجج الصراع. وتجمع الناس في المسجد احتجاجاً على هذه الأعمال، فقامت القوات الحكومية بعدما تبين لها خطورة الوضع بمحاصرة المسجد والاعتداء على هذا المبنى الديني. وقرّر آية الله بهبهاني وآية الله طباطبائي اللجوء إلى مرقد السيد عبدالعظيم حسني (عليه السلام) لمنع إراقة الدماء. صدر هذا القرار بتاريخ ١٦ شوال ١٣٢٣ م. وأبلغ المتظاهرون المتشددون الحكومة بمطالبهم وأهمها إنشاء دار عدالة لمنع القهر والظلم. وأمام هذه المقاومة والاستمرار في الاعتصام والنضال، رضخ الحاكم آنذاك لمطالبهم، وبإعلان الاتفاق على تلبية مطالب المعتصمين، عاد آية الله بهبهاني ورجال دين آخرون إلى المدينة.

"عين الدولة"، الذي استغل ضعف الشاه وأصبح زعيماً سياسياً ، وجد تحقيق مطالب المقاتلين ضد مصالحه، فرفض تنفيذ هذه المطالب وواجه المقاتلين بقوة أكبر.

لذلك ، تم تعيين "نير الدولة"، الذي كان شخصاً مستبداً وظالماً، حاكماً لطهران بدلاً من علاء الدولة، إذ قام بنفي سيد جمال الدين واعظ إلى مدينة قم واعتقل الشيخ محمد واعظ، لمنع القتال. و زاد هذا التصرف من غضب الأهالي واستيائهم، وهاجموا محل سجن الشيخ محمد للإفراج عنه، وفي هذا الصراع استشهد أحد الطلاب باسم سيد عبد الحميد.

وعلى إثر شهادته، أغلق السوق. في الأثناء ذهب كل من آية الله بهبهاني وآية الله السيد محمد طباطبائي إلى منزل آية الله الشيخ فضل الله نوري وطلبوا منه مرافقتهم في النضال. ووعد الشيخ فضل الله نوري بالتعاون، وبهذه الطريقة توحد رجال الدين في طهران في محاربة الحكومة الاستبدادية.

كلمات آية الله بهبهاني عززت قلوب الناس ومثابرتهم، واستمرت المقاومة والمثابرة. هددت الحكومة المقاتلين وطلبت منهم إنهاء الاعتصام. قال آية الله بهبهاني وآية الله طباطبائي إما الموافقة على مطالبنا أو السماح لنا بمغادرة المدينة والذهاب إلى النجف وكربلاء.

على أمل أن تنخفض معارضة الحكومة مع رحيل القادة الدينيين، سمحت لهم الحكومة بالرحيل، وذهب آية الله بهبهاني، إلى جانب زعماء ورجال دين آخرين، إلى مدينة قم، و قاموا بالاعتصام في مرقد السيدة المعصومة (سلام الله عليها).

الاعتداء على البرلمان واعتقال آية الله بهبهاني

محمد علي شاه، الذي أصبح ملكاً بعد وفاة والده ، لم يكن يقبل القانون بسبب مزاجه الاستبدادي؛ ولكن مع تظاهرات أهالي تبريز وطهران ومدن أخرى، ودعم علماء النجف للدستور، وافق ووقع عليه في ٢٩ شعبان عام ١٣٢٥ هـ، لكنه كان لا يزال يحاول الانتقام والإطاحة بأساس الحركة الدستورية. ولتنفيذ أهدافه الشريرة ، أعدّ القوات الحكومية واختار الروسي "لياخوف" كقائد لها، وهاجمت القوات الحكومية بتاريخ ١٣ جمادي الأول عام ١٣٢٦ هـ، البرلمان تحت قيادة الروسي "لياخوف".

عندما انتشر خبر الهجوم على المجلس في المدينة، توجه آية الله بهبهاني برفقة آية الله طباطبائي إلى المجلس لمنع الصراع وإراقة الدماء، لكن القوات العسكرية التابعة للحكومة لم تلتفت إلى كلام أحد واشتبكت مع قوات المجاهدين الذين لم تكن لديهم القوة الكافية للقتال تراجعوا وسقط المجلس في أيدي القوات الحكومية. في هذا الصراع قُتل عدد من رجال الحركة الدستورية.

في الأثناء اجتمع آية الله بهبهاني مع مجموعة من القادة الدينيين والدستوريين الآخرين في حديقة أمين الدولة، وهاجمت القوات الحكومية هناك واعتقلت آية الله بهبهاني، وآية الله طباطبائي، ونجل آية الله بهبهاني، وأصيب آية الله بهبهاني ونجله سيد محمد بهبهاني، بجروح خطيرة، وبعد أيام قليلة تم نقلهم إلى محمد علي شاه، الذي عاملهم بعنف وأهانهم.

آية الله بهبهاني، الذي كان أسيراً في يد ذلك الرجل القاسي والمستبد، قال بشجاعة فطرية التي كان يمتلكها: "اقتلونا ؛ لكن لا تتحدث معنا بقلة احترام ".هزّ هذا الخطاب الملك المستبد، فغير لهجته وتحدث إليهم بلطف. و بعد مرور عدة أيام، تم نفي آية الله بهبهاني، الذي أثار غضب محمد علي شاه واستياءه، إلى كرمانشاه ومن هناك ذهب إلى مدينة النجف الأشرف.

استشهاد آية الله عبداله بهبهاني

بعد فتح طهران من قبل الدستوريين، تم تشكيل الأحزاب في البلاد وحاول كل حزب الاستيلاء على البرلمان والحكومة. الحزب الديمقراطي والحزب المعتدل، كانا الحزبين الرئيسيين في هذه الفترة من تاريخ البلاد، وتقي زاده ورجال آخرون ينتمون إلى الدول الأجنبية كانوا من قيادات الحزب الديمقراطي، ومن جانب آخر آية الله بهبهاني(الذي عاد من النجف الأشرف إلى إيران) وآية الله طباطبائي ومعظم رجال الدين والعلماء الكبار كانوا أعضاء أو مؤيدين للحزب المعتدل. اختلفت آراء رجال الدين، ولا سيّما آية الله بهبهاني وآية الله طباطبائي، جوهرياً مع آراء الديمقراطيين، ما تسبب في خلافات وصراعات داخل البرلمان وخارجه، وجعل الوضع في البلاد متوتّراً.

كان يحاول الحزب الديمقراطي إبعاد علماء الدين من مسرح إدارة البلاد. وحظي رجال الدين والعلماء للحركة بدعم الملا "أخوند خراساني" والشيخ "عبد الله مازندراني" وعلماء آخرين من النجف الأشرف .وأصدر رجال الدين والعلماء، الديموقراطيين، بيانات أكدوا فيها أن ما عنوه بالحرية هو التحرر من طغيان المسؤولين الحكوميين وعدم الخروج عن الالتزامات والواجبات الإلهية والدينية وعندما أدركوا أن أقوالهم ليس لها أي تأثير في التغيير، صوتوا على فساد مسلك وسياسة "تقي زاده" والديمقراطيين.

أثار هذا التصويت لعلماء النجف الأشرف، غضب وكراهية الديمقراطيين. واعتبروا أن"آية الله بهبهاني" هو السبب في هذا الإجراء، وإلى جانب ذلك أن "آية الله بهبهاني" وبسبب نفوذه الاجتماعي، منع الديمقراطيين من تحقيق أهدافهم، لأنهم كانوا ضد الحكم الاسلامي. وهكذا اتحد معارضو الحكم الإسلامي، ومعظمهم من الحزب الديموقراطي.

استطاع "تقي زاده" والذي كان مفتوناً جداً بالثقافة الغربية، عبر هذا التحالف، أن يجلب معه "حيدر عمو أوغلي" ، الذي نشأ في القوقاز وكان مقرباً لروسيا آنذاك. وأخيراً يروى عن قيام قوات بقيادة "حيدر أوغلي" في ليلة ٩ رجب سنة ١٣٢٨ هـ، بمهاجمة منزل "آية الله بهبهاني" ، نتج عن هذا الهجوم استشهاد هذا المجاهد الدؤوب الذي ضحى بحياته ضد اضطهاد الحكومة الاستبدادية وعانى كثيراً من السجن والنفي والتعذيب.

عندما انتشر خبر استشهاد "آية الله بهبهاني" في المدينة، توقف الناس عن العمل وتوجهوا إلى منزله الذي لم يستطع استيعاب كل هذه الجموع، فتجمع الطلاب والعلماء والنقابات الأخرى ومجموعة من المجاهدين، في مدرسة "مروي" .في الأثناء حضر سيد "محمد بهبهاني" ، الابن الأكبر "لآية الله بهبهاني" ، وسط حزن الآلاف من الناس الذين تجمعوا هناك.

وتجمهر آلاف الأشخاص حول منزل "آية الله بهبهاني"، وساد خوف من أحداث مؤسفة، لكن السيد محمد نجل "آية الله عبد الله بهبهاني" أطفأ نار الفتنة وحافظ على سلام المدينة.

وخاطب السيد محمد حشود الناس قائلاً: "علينا أن نستسلم لما قدر الله وقضى، استمر المرحوم بهبهاني في طريق خدمة شعب الله حتى المرحلة الأخيرة وحقق الدرجة العالية من الاستشهاد. أطلب منكم الهدوء وتجنب الفتنة والانتقام".

هذه الكلمات التي أظهرت الحنكة واليقظة والإيمان بالحقيقة وعظمة التسامح من قبل نجل "آية الله بهبهاني"، بردت من نار غضب الناس وبغضهم وحالت دون اندلاع حرب وسفك دماء في طهران. ورغم ذلك أغلقت الأسواق لمدة يومين ونعاهم الناس في المساجد والحسينيات.

ووري جثمانه الثرى في طهران أوّلا، ثمّ نقله ولده السيد محمّد إلى مدينة النجف الأشرف ودُفن في العتبة العلوية.